

دلائل الإعجاز

وليس كذلك الحال في قوله تعالى : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) . (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ) . لأن الأوسل من الكلاميين فيهما كالثاني في أنه خبير من الله تعالى وليس بحكاية . وهذا هو العيلة في قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ) . إنما جاء (إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) من الله تعالى بأنهم كذلك والذي قبله من قوله (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) حكاية عنهم فلو عطف لَلَزِمَ عليه مثل الذي قدّمته ذكره من الدخول في الحكاية ولصار خبراً من اليهود ووصفاً منهم لأنفسهم بأنهم مُفسِدُونَ . ولصار كأنه قيل : قالوا إنما نحن مُصلِحُونَ وقالوا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ . وذلك ما لا يُشكُّ في فساده . وكذلك قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْزَلْنَا كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ) . (وَلَوْ عُطِفَ (إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) على ما قبله لكان يكون قد أُدخِلَ في الحكاية ولصار حديثاً منهم عن أنفسهم بأنهم هُمُ السُّفَهَاءُ من بعد أن زعموا أنهم إنما تُركوا أن يؤمنوا لئلا يكونوا من السفهاء . على أن في هذا أمراً آخر وهو أن قوله : " أنؤمن " استفهام ولا يُعطف الخبر على الاستفهام . فإن قلت : هل كان يجوز أن يُعطف قوله تعالى : (إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) على " قالوا " من قوله : (قالوا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) لا على ما بعده وكذلك كان يُعطف في (إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) و (إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) . وكان يكون نظير قوله تعالى : (وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا مَلَكًا وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ) وذلك أن قوله (ولو أنزلنا ملكاً) معطوف من غير شك على " قالوا " دون ما بعده قيل إن حكم المعطوف على " قالوا " فيما نحن فيه مخالف لحكمه في الآية التي ذكرت وذلك أن " قالوا " ها هنا جواب شرط . فلو عطف قوله : (إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) على " قالوا " في حُكْمِهِ مِنْ كونه جواباً وذلك لا يصح . وذاك أنه متى عطف على جواب الشرط شيء بالواو كان ذلك على ضربين : أحدهما : أن يكونا شيئين يتصور وجود كل واحدٍ منهما دون الآخر ومثاله قولك : إن تأتيني أكرمك أعطيك وأكسبك